المستشرق البريطاني وليم رايت وتراثه اللغوي

أ.د. سيد راشد نسيم

عميد كليات الدراسات العربية والآسيوية، بجامعة إيفلو

المقدمة:

يُعدّ المستشرق البريطاني وليم رايت من أبرز الشخصيات التي أسهمت إسهامًا ملحوظًا في دراسة اللغة العربية في العصر الحديث، حيث جمع في أعماله بين الدقّة العلمية والرؤية التحليلية العميقة. وقد ركّز رايت على تحليل البنية اللغوية للعربية، ولا سيما في مجال النحو والصرف، مستفيدًا من التراث العربي الأصيل ومناهج البحث الغربية الحديثة. وتبرز أهميته في كونه حلقة وصل بين الدراسات اللغوية التقليدية في العالم العربي والاتجاهات اللسانية الحديثة في أوروبا. كما أن مؤلفاته، وعلى رأسها كتابه في قواعد اللغة العربية، ما زالت تُعدّ مرجعًا أساسيًا للدارسين والباحثين في هذا المجال. ومن ثمّ، فإن دراسة تراثه اللغوي تُسهم في فهم تطوّر الدراسات العربية في السياق الاستشراقي، وتكشف عن أبعاد التفاعل الثقافي والعلمي بين الشرق والغرب.

الكلمات المفتاحية: الدراسات اللغوية، الاستشراق، التراث العربي، التفاعل الثقافي، الأسلوب.

قبسات من حياته:

الدكتور وليم رايت " William Write" (1830-1889 م) كان أستاذ اللغة العربية في جامعة كامبردج. ولد بقرية من نيپال في 27 يناير سنة 1830م حيث كان أبوه الكابتن ألكزاندر رايت يعمل موظفاً في شركة الهند الشرقية، وكانت أمه تحسن عدة لغات شرقية منها الفارسية، فشجعت ابنها على دراسة اللغات الشرقية، فأكمل دراسته الثانوية والتحق بجامعة سنت أندريس[1]، وتخرج

[1]: وهي من أقدم جامعات ألبريطانيا تقع في إسكانتنا، تأسست سنة 1410م، **جامعة سانت اندروز**، University of St Andrews

منها بالبكالوريا، ثم رحل إلى ألمانيا والتحق بجامعة هله ودرس بها اللغة السريانية واللغات السامية الأخرى وعلى رأسها اللغة العربية، كما درس اللغة السنسكريتية، وسافر إلى (هولندة)، وهناك درس على يد المستشرق الكبير راينهرت دوزي[2]، واجتهد للاطلاع على المخطوطات العربية وحصل من جامعة ليدن على شهادة دكتوراه.

وعاد إلى إنجلترة فعين أستاذاً في كرسي اللغة العربية في كلية الجامعة بجامعة لندن (1855 - 1856)،[3] وفي السنة التالية (1856م) حتى سنة 1861 م صار أستاذاً في كلية الثالوث بجامعة دبلن[4] . ثم ترك التدريس ليفرغ للبحث في المخطوطات، لذلك اشتغل في قسم المخطوطات في المتحف البريطاني بلندن، وكلف بوضع فهرس للمخطوطات السريانية بها. وما لبث أن عاد في سنة 1870م، إلى التدريس أستاذاً للغة العربية في جامعة كمبردج. واستمر في هذا المنصب إلى أن توفي في 22 مايو سنة 1889م.

ولا تزال أعماله قيد البحث والدراسة حتى اليوم من قبل الباحثين للغة العربية والسريانية. وتحتفظ كتاباته اليوم بالمكتبة البريطانية وجامعة كامبردج، ومن أشهر أعماله "قواعد اللغة العربية والتاريخ القصير للأدب السرياني".

إنتاجه العلمي:

قام رايت بتحقيق الكتب العربية التالية:

١: رحلة ابن جبير، سنة 1852م.

٢: "الكامل" للمبرّد (1864 - 1882)، وهو أهم أعماله، ولا يزال تحقيقه لهذا الكتاب خير تحقيق أخرج للناس حتى الآن.

٣: أما في باب الدراسات السريانية، فقد صنف.:Arabic Opuscule - ورسائل عربية

---

[2] Reinhart Pieter Dozyوهو مستشرق ومؤرخ ، توفي سنة 1883م ب "ليدن"

[3] **university college of London**.

[4] . **Dublin** وهي عاصمة جمـهورية إيرالند ومن أهم مدنـها.

٤: "فهرست المخطوطات السريانية في المتحف البريطاني" (سنة 1870 ـ سنة 1872)

وقام بتحقيق الكتب السريانية التالية:

٥: "مواعظ أفراطس" (سنة 1969م).

٦: "أعمال الرُّسل" وهو كتاب منحول باللغة السريانية لذلك السفر من العهد الجديد من الكتاب المقدس، وقد نشر في مجلدين سنة 1871م.

٧: "أخبار يوشع العمودي"، النص السرياني مع ترجمة إنجليزية، سنة 1882م.

٨: "كتاب كليلة ودمنة" (سنة 1883م.

٩: وكتب مادة "الأدب السرياني" في "دائرة المعارف البريطانية".

وشرع في تحقيق "التاريخ الكَنَسي" تأليف يوسابيوس القيسراني، لكنه لم يتمه، فواصل تحقيقه ونشره ماكلين) W. Maclean كمبردج سنة 1898م.

وصنف فهرساً للمخطوطات الحبشية الموجودة في المتحف البريطاني.

وعني بالنقوش السامية، وكتب في ذلك عدة مقالات نشرت في مجلات مختلفة. كما نشرت بعد وفاته "محاضراته في النحو المقارن للغات السامية"، وذلك في سنة 1890م، وأشرف على طبعه وليم روبرتسون اسمث.

ولقد أشـاد بعلمه العزير المستشرق ببين أسمث Pyan Smith الأستاذ في جامعة أكسفورد في المعجم السرياني – الإنجليزي الذي ألفه الدكتور رايت ، فقال إنه مؤسس الكتابة في فن النحو باللغة الإنجليزية.

ولقد حاول الدكتور رايت نقل كتاب للمؤلف الألماني كسبأري Caspari في قواعد اللغة العربية ولكنه في الحقيقة لم يكن يقتنع بالترجمة فحسب بل أضاف إضافات إلى حد جعله موسوعة لغوية باسم "Grammar of Arabic Language"[5].

تراثه اللغوي في العربية:-

قواعد اللغة العربية:

وضع الدكتور وليم رايت كتابا في علم اللغة وقواعد اللغة العربية وهو في الحقيقة هذا موسوعا لغويا حيث استوعب الدكتور وليم رايت جل مباحث لغوية مما تعد من أهم المباحث في هذا المجال، فأحاط بعلم الأصوات (Phonetics) وعلم بناء الكلمة (Morphology) علم بناء الجملة (Syntax) وعلم العروض (Prosody)، وقسم هذا الكتاب تقسيما بديعا على أساس المنطق والأصول، فالمجلد الأول من هذا الكتاب يحتوي على جزئين: الأول منهما يتناول الحديث عن الأصوات وقواعد الإملاء ورسم الحروف الهجائية وهو علم الإملاء والتهجي (Orthography)، وخص الجزء الثاني للبحث عن علم الاشتقاق وقواعد الاشتقاق وتصريف الكلم وصيغها (Etymology) فأطنب الكلام فيه وأسهب وأجمل فتعرض فيه عن الفعل الصحيح وأقسامه والفعل المعتل وأنواعه ثم انتقل إلى الاسم وأقسامه من الاسم الفاعل والمفعول وصيغ الصفة المشبهة بالفعل واسم الزمان والمكان وغيرها من البحوث مردها إلى الأسماء المشتقة والجامدة، كما تحدث في هذا الجزء عن العدد المركب والعدد الأصلي والعدد الترتيبي، ثم أفرد البحث عن حروف الجر والصلات للأفعال وحروف الاستفهام وحروف العطف وحروف الشرط وأدواته وحروف النداء، ثم أكمل المجلد الأول من هذا الكتاب على اسماء الأفعال مثل هلم وتعال وذيل هذا الكتاب بذيل مركز على تصاريف الأفعال ونماذجها من الأفعال الشتى ، أما المجلد الثاني من هذا الكتاب فهو يتضمن علم بناء الجملة (Syntax) واستهل الحديث عن كلمات لما له صدارة في الجملة، ثم خطا خطوات إلى مكونات الجملة من اسم وفعل ونفي واستفهام وشرط

---

[5]: **راجع كتاب طبقات المستشرقين للدكتور عبد الحميد صالح حمدان ص 46**

وتوكيد وغيرها من المباحث الهامة التي لا غني عن معرفتها في النحو والقواعد، واعتبر هذه البحوث كلها من الجزء الثالث من هذا الكتاب ثم خطت يمينه الجزء الرابع وهو علم البديع وعلم العروض التي تتم به المباحث اللغوية وتعرض في هذا الجزء الأوزان الخليلية التي تمثل جانبا من المحسنات اللفظية والمحسنات المعنوية التي لا تتناول مباحث اللغة ولكنها دراسة تتكون من معان بديعة لا تعين الناشئين في فهم الشعر العربي فحسب بل هي عدة وأداة لفهم كتاب الله العزيز، فالمباحث المذكورة كلها ترسخ في الطالب ملكة وقدرة على الإجادة في اللغة العربية ولا يمكن لأحد أن يصبح كاتبا مجيدا أو شاعرا مبدعا أو خطيبا مفوها بمعزل عن تلك القواعد، فلنعترف بفضل أستاذ رايت على هذا التراث اللغوي الرائع المتميز الذي يثرى المكتبة العربية ويشفى الغليل يسد فراغا لمن ينطق باللغة الإنجليزية.

مميزات الكتاب:

١) الشمولية: من أهم المواصفات لهذا الكتاب هي الشمولية المدهشة للمباحث اللغوية وسعة إدراكه للقواعد الشاذة والمطردة والمنهج الاستيعابي والاستقرائي الذي يغني الطالب عن المصادر اللغوية الأخرى والمؤلفات القواعدية المختلفة.

٢) الأسلوب: أما أسلوب الدكتور رايت في اللغة الإنجليزية هو أسلوب مشرق واضح وأسلوب محكم متين لا يحومه الغموض في البيان ولا يكدره الإبهام في التوضيح والشرح، أما متانة أسلوبه فهي تنم عن العبارات المحكمة والمصطلحات الدقيقة التي استخدمها في شرح المصطلحات العربية، وهذا الاستخدام يدل على امتلاكه على ناصية بيان اللغة الإنجليزية وأفانين أساليبها وتعبيراتها، ومما ينصح للطلاب أن يستفيدوا من المستوى الرفيع لهذا الكتاب في اللغة الإنجليزية.

٣) وكاد الكتاب يخلو من البغضاء وما تخفي صدور المستشرقين من الحقد عن الشرقيين ودياناتهم وثقافاتهم مثل ما صنع هيودوناهمد[6] في كتابه عن القواعد العربية، إنهما أتيا بالأمثلة التي تجرح عواطف الشعب المسلم ، أما وليم رايت فإنه قد اتخذ منهجا إيجابيا بدون الإنحياز إلى

[6]. A new Arabic Grammar of the written language, by H.M Nahmad and John A Hyawood

العنجهية والعصبية، إنما تصدى لنشر الثقافة العربية على أساس العلم والمعرفة، فله التقدير والعرفان كما يستحقه من سمو المكان.

مما يؤخذ عليه: قديما قالوا: "لكل فارس زلة ولكل عالم هفوة" فعلى هذا المنطلق وجه النقد إلى رايت بأنه اختار منهجا تقليديا قديما استقرائيا فيكتفي بالقليل من الأمثلة ويقتنع بالشواهد البالية ولا يفيض خاطره بالمبتكرات من الأمثلة ولا من محادثات التعبيرات، ولعل مرد ذلك هو انحصاره على كتب القواعد المؤلفة في القرون الوسطى مثل الألفية واللامية ومصباح الطالب ومفتاح المصباح وغيرها من المصادر الثانوية.

الخاتمة:

وفي الختام، يتبين أن وليم رايت قد أسهم إسهامًا بارزًا في خدمة اللغة العربية من خلال دراساته الدقيقة ومنهجه العلمي المنظم، الذي جمع بين التراث العربي الأصيل والرؤية اللغوية الحديثة. فقد استطاع أن يقدّم معالجة منهجية لقواعد العربية، مما جعله مرجعًا مهمًا للباحثين في الشرق والغرب على حدّ سواء. كما تعكس أعماله جانبًا مهمًا من التفاعل العلمي بين الثقافتين العربية والغربية، وتسهم في فهم تطوّر الدراسات اللغوية في إطارها الاستشراقي.

المراجع والمصادر

وهي من أقدم جامعات ألبريطانيا تقع في إسكانتا، تأسست سنة 1410م، جامعة سانت اندروز، University of St Andrews

[1] Reinhart Pieter Dozyوهو مستشرق ومؤرخ ، توفي سنة 1883م ب "ليدن"

university college of London.[1]

[1]. Dublin وهي عاصمة جمـهورية إيرالند ومن أهم مدنـها.

[1]: راجع كتاب طبقات المستشرقين للدكتور عبد الحميد صالح حمدان ص 46

[1]. A new Arabic Grammar of the written language, by H.M Nahmad and John A Hyawood